

عنوان البحث : .. الآثار السلبية للحروب على العمران البشرى

ملخص البحث

اهتم الإسلام اهتماما كبيرا بالبيئة وعمارة الأرض، وأوصى بزراعتها لما للزراعة من دورها فى الحفاظ على البيئة من التصحر والجفاف وغير ذلك.

وشبه القرآن الأرض المزروعة والبساتين بالجنة، واعتبرها من نعم الله على الإنسان. قال تعالى: (وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا. كَلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا) ⁽¹⁾ وقال تعالى: (كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَآكِهِينَ) ⁽²⁾.

وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمارة البيئة وزراعتها فقال: "إن قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة -نخلة صغيرة- فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها" ⁽³⁾.

وهذا يدل على حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على عمارة البيئة وزراعتها حتى لحظة قيام الساعة. وقال صلى الله عليه وسلم موصيا أصحابه بعدم ترك الأرض بغير زراعة فقال: "إذا كانت لأحدكم أرض فليمنحها أحاه أو ليزرعها" ⁽⁴⁾.

وكان من عقاب الله لعباده إذا ما حادوا عن الطريق المستقيم وخالفوا شرائع الله أن تتعرض بيئتهم وأرضهم للحرق والتدمير. قال تعالى: (إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا

(1) سورة الكهف : آية 32-33.

(2) سورة الدخان: آية 25-27.

(3) المنتخب من مسند عبد بن حميد - حديث رقم 1216 .

(4) سنن الترمذى - حديث رقم 1384.

لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ. وَلَا يَسْتَثْنُونَ. فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ. فَأَصْبَحَتْ
كَالصَّرِيمِ⁽⁵⁾.

وقال تعالى: (أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ
فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ
اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ)⁽⁶⁾.

وسار الصحابة على نهج نبيهم في الحفاظ على ال عمران البشرى، وخاصة في أوقات الحروب
فهذا هو أبوبكر الصديق الخليفة الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوصى قادة جيوشه بالحرص
على البيئة ، وما بها من زرع وعمارة ، فقال للقائد أسامة بن زيد وجيشه أثناء توجههم للقتال : (يا أيها
الناس ، قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عنى : لا تحنونا ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا
طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً ولا تحقروه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا
تدبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع ، فدعوهم
وما فرغوا أنفسهم له)⁽⁷⁾.

وإذا كان السلام يساعد في الحفاظ على البيئة ومكوناتها إلا أن الحروب أحيانا ما يكون لها قواعد
مخالفة لهذا النهج الرباني والنبوي، وتجبر ظروف الحرب أحيانا أحد الطرفين أو كليهما للإضرار بال عمران
البشرى بقصد أو بغير قصد، وتلقى بآثارها السلبية وظلالها المدمرة على الإنسان والبيئة، ولذلك كانت
الحرب في الإسلام للضرورة القصوى وليست ترفاً أو رغبة فيها، وسنورد خلال البحث بعض الحروب التي
أضرت بالبيئة وبال عمران البشرى ضرراً مباشراً، وثار حولها جدل كبير، واستمرت آثارها فترة من الزمن،
مثل غزوة بنى النضير، وحروب المسلمين مع الكاهنة في بلاد المغرب، وثورة أهل الرض بقرطبة، لتكون
أمثلة لأثر الحروب السيئ على ال عمران. وقد حاول المسلمون معالجة هذه الآثار السيئة قدر المستطاع،
مستندين في ذلك إلى مبادئ التشريع الإسلامى التي أقرها الشرع لحماية البيئة وال عمران ، والحفاظ
عليه. وهو ما سنعرفه إن شاء الله من خلال صفحات البحث.

أ.د/ عبدالغنى عبدالفتاح زهرة

(5) سورة القلم: آية 17- 20.

(6) سورة البقرة: آية 266.

(7) تاريخ الطبرى – ج 1 ص 230

أستاذ ورئيس قسم التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية اللغة
العربية بالزقازيق - جامعة الأزهر

e.mail : aamsm@hotmail.com